ولكنها عاجزة عن التوفيق بين مقتضيات التزاماتها الوطنية ومصالحها الطبقية مما يجعلها تفقد الكثير من أهليتها في المساهمة بتصليب وتقوية وطنية لبنان من حيث ان المفهوم المتطور لحرية الوطن هو مساواة المواطنين .

واذا نحن تمعنا أكثر في هذه الحقائق المستجدة على صعيد الواقع الاجتماعي لوجدنا كيف ان تباطؤ وعجز النظام عن مجابهة الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان وعلى المخيمات الفلسطينية ادى الى تنزيح عدد كبير جدا من أبناء الجنوب الى العاصمة وضواحيها ، مما جعلهم في وضع ربطوا فيه النظام بواقع تخليه عن السيادة ، مما وضعهم في واقع المجابهة الحقيقية مع من ربطوا النظام بمفهوم مبتور للسيادة . بكلام آخر فان النازحين اللبنانيين من الجنوب الذين وجدوا ان قراهم معرضة للاعتداءات الاسرائيلية المتكررة وحتى اليومية دون اي تصد حقيقي لهذه الاعتداءات من قبل مؤسسات الدولة أو أجهزتها عنى بالنسبة اليهم ان المؤسسة العسكرية تترجح عندها مقتضيات القمع للحفاظ على « النظام » على ضرورات الدفاع عن الحدود وبالتالي السيادة .

هذه النظرة الى الجيش ساهمت في تعميق المخاوف السائدة عند أغلبية المواطنين بأن النظام من حيث اسقاطه للجنوب من اهتماماته الجادة والحقيقية هو نظام تتحدد أولوياته بدافع الحرص على المصالح الطبقية والامتيازات السياسية ، لا بحافز ايجاد الصيغ الملائمة لتأمين مشاركة أوسع للجماهير في كافة المجالات أكان على مستوى صناعة القرارات أو الاستفادة الحقيقية منها . ازاء هذا الاسقاط الحقيقي من قبل النظام لمستلزمات أهل الجنوب عنى ان النظام فقد المقدرة على تقييم سليم لدور الجنوب كونه أحدى الساحات الرئيسية للمجابهة العربية مع الكيان الصهيوني . وقد تأتى عن ذلك حالة افتراق نفسي وسياسي بين معظم أهالي الجنوب والنظام مع ما يعنيه هذا الافتراق من انعدام توقع اي تقيد من قبل النظام بالضرورات الحياتية والاستراتيجية التي تفرضها كثافة الاعتداءات الاسرائيلية على منطقة الجنوب . وقد تذرع النظام مرارا بأن الانكفاء عن المجابهة او الرد الفوري على الاعتداء الاسرائيلي هو بحد ذاته ممارسة للاستراتيجية القائلة بضرورة تحويل الضعف الى قوة . اكثر من ذلك فان هذه النظرية تفترض وجود مظلة وقائية اميركية تحمي السيادة الشكلية للبنان أو ترجع للبنان الممارسة الشكلية لهذه السيادة على مناطق كثيرة من الجنوب ، في حين تؤمن لاسرائيل حرية استباحة السيادة اللبنانية في هذه المنطقة الحساسة والهامة معا . من هنا تبرعمت العلاقات الحميمة بين أهالي الجنوب والمقاومة الفلسطينية بعد أن اتضح لأهالي الجنوب التزام المقاومة الفلسطينية بضرورات الدفاع المشروعة عن الاراضي التي يشتركون معها في القيام عليها ، بينما يرضخ النظام للمنطق الذي يقول بأن التواجد الفلسطيني المقاوم هو المسبب للاعتداءات الاسرائيلية المتكررة .

هذا الواقع الجنوبي ببعديه الجغرافي والسكاني ساهم في توضيح معالم التناقض بين اهتمامات النظام وهموم المحرومين والنازحين الجدد ، مثلما سلط الاضواء على اللااكتراث بأوضاع القطاعات الفقيرة والمتوسطة في كافة المناطق . وان كان النظام اللبناني قد أخذ على عاتقه ادخال بعض الاصلاحات الجزئية فانما كان بدافع استباق المطالبة بالاصلاحات الجذرية والتعديلات المطلوبة مما كان بدافع الاقتناع بحقوق هذه الفئات وتلبية مطالبها . جاء النزوح من الجنوب ليظهر بشكل فاضح عيوب ونواقص النظام القائم ، وليجعل ضرورة معالجتها بذهنية وتفكير جديدين مطلبا وطنيا شاملا عجز النظام عن فهم أبعاده أو حتى الاقتراب من فهم أوجه المعاناة الحقيقية فيه . فكان النظام يسعى الى عملية التسويف والمماطلة في تلبية الحقوق الاولية والمشروعة ويعمل